مجلّةُ جامعة بخْت الرضا العلمية، محكمة تصدر نصف سنوية العدد (27) مارس2019م
[UBJSR: ISSN :(Print) 1858-6139]
http://mag.uofb.edu.sd

المرأة في الشعر الشفاهي التقري في السودان

سوسن عبد العزيز مُحَّد ناشد[1] إلهام معتصم البشير[2] وأحمد إدريس[3]

جامعة الخرطوم ، كلية الآداب ، قسم اللغويات

جامعة الخرطوم، كلية الآداب، مركز الدراسات الدبلوماسية،

باحث من التقري، جامعة الخرطوم، كلية الآداب، قسم علم النفس،

مستخلص

تناولت الورقة صورة المرأة في التراث الشعري الشفاهي التقري في السودان من خلال الأشعار التي ذُكرت فيها المرأة، والأشعار التي تناولت القضايا الموضوعية التي شملتها. بالإضافة إلى ذلك هدفت الورقة إلى إستقراء بعض مفاهيم وقيم المجتمع التقري السوداني المنعكسة في هذا الأدب؛ وعليه فقد تمّ الاختيار العشوائي لستة قصائد، أربعة منها لكتّاب من السودانين التقري والبقية من الأدب التقري الأرتري الأصل لكنه مُتداول ويمثّل جزءاً أصيلاً من الأدب الشفاهي للتقري في السودان. رُوعي في اختيار القصائد أن تكون متباينة لتعكس بيئات جغرافية متنوعة، فبعضها لشعراء من تقري القاش بمنطقة كسلا مثل إبراهيم نوراي، والأخرى لشعراء من منطقة البحر الأحمر مثل خالد مُحَّد حامد خير، ومُحَّد إبراهيم عثمان. تم تحليل القصائد من حيث المحتوى، السياق، واللغة. توّصل الباحثون إلى أن أكثر صورة شائعة في الشعر الشفاهي التقري للمرأة هي المحبوبة، وقد انعكست قيم المجتمع الدينية وعاداته في القصائد المختارة.

كلمات مفتاحية: الأدب الشفاهي, قصائد، القيم والمعتقدات، تحليل السياق واللغة والأدب الشفاهي.

Abstract

This paper addresses the representation of woman in the Tigre oral literature in the Sudan. It focuses on some poems about 'woman' or written by a woman. It aims at deducing some of the Tigre's beliefs and values that have been reflected on these poems. Therefore; six poems have been randomly chosen; four of them are written by Sudanese Tigre and the remaining two are originally written by Eritrean Tigre but they are widely spread among the Sudanese Tigre. The six poems were chosen to represent the geographical areas of the Tigre settlement in eastern Sudan; Kassala and Port Sudan. The poems have been analyzed contextually, and linguistically. It is found that the most popular image of woman is '*lover'*, moreover; the poems reflect many of Tigre values and beliefs, mostly related to Islam.

Key words: Oral Literature, Poems, Values and Beliefs, Contextual and Linguistic Analysis

مقدمة

نالت المرأة موقعاً متميزاً في كل المجتمعات منذ أقدم العصور، وخاصة لدى عرب شبه الجزيرة العربية؛ فقد تناولوها في أشعارهم القديمة، وحملوها معهم في أفكارهم أينما حلوا، ولعل أثر هذا بدأ بدخول العرب السودان من الباب الشرقي عبر البحر الأحمر أحد المنافذ الرئيسة والمهمة في منطقة الشرق الأفريقي ، فكان من ضمن هذه الهجرات هجرات السبئيين التي تعتبر من أكبر هذه الموجات التي أعقبت انهيار سد مأرب عن طريق البحر الأحمر– (عدوليس وباب المندب)– إلى أرتريا، وأجزاء السودان الشرقية، هؤلاء السبئيون انتشروا في أرتريا، ونشروا معهم اللغة الجئزية(الحميرية القديمة) وثقافتهم العربية الأم السبئية، ولهجاتهم العربية التي امتزجت باللغة الأرترية الأفريقية فصاغوا منها آداباهم المحلية. إن مدى امتزاج التقري بالعربية هو الأكثر عمقاً نسبةً لأصول التقري العربيه وتقارب الناطقين بالتقري جغرافيا من الجزيرة العربية وروابط الثقافة والدين التي تربطهم بالعرب. تناولت الورقة صورة المرأة في التراث الشعري الشفاهي التقري في السودان من خلال الأشعار التي ذُكرت فيها المرأة، والأشعار التي تناولت القضايا الموضوعية التي شملتها. بالإضافة إلى ذلك هدفت الورقة إلى استقراء بعض مفاهيم وقيم المجتمع التقري السوداني المنعكسة في هذا الأدب. تهدف الدراسة إلى كشف النقاب عن موروثات التراث الشعبي في السودان لمجموعة التقري التي عاشت وترعرعت فيه ، وكما هدفت إلى تسليط الضوء على مدى تداخل لغاتها المحلية

مجلّةُ جامعة بخْت الرضا العلمية، محكمة تصدر نصف سنوية العدد (27) مارس2019م
[UBJSR: ISSN :(Print) 1858-6139]
http://mag.uofb.edu.sd

باللغة العربية من خلال القصائد التي تناولها البحث، كما تهدف إلى دراسة اللغة المستخدمة في الأدب الشعري الشفاهي للتقري في شرق أفريقيا. جاء التفكير في كتابة البحث بغرض استنطاق موجودات التراث الشعبي لخدمة التاريخ المحلي والإقليمي للمنطقة، أي النظر للتراث الشعبي كمستودع لذكريات محلية متراكمة، يرجع إليها الناس المعنيّون على الدوام؛ فيعيدون منها تشكيل رؤيتهم للاستفادة منها في خدمة البحث العلمي. ولعل المصدر الأساسي في الكتابة عن مجموعات التقري وتراثهم؛ هو الأخبار عن الهجرات العربية التي جاءت من شبه الجزيرة العربية إلى بلاد أفريقيا وخاصة السودان الشرقي، وقد ساقنا هذا لكي نبني جسراً بين التاريخ والأدب حتى تكتمل الصورة، ونجمع بين التاريخ المدّون والأدب الشفاهي. أضف إلى هذا، أن قومية التقري من المجموعات التي عُرفتَ باستقرارها في منطقة شرق السودان منذ اقدم العصور، وقد رفدت المنطقة بالعديد من العناصر الثقافية المهمة التي ربطت بينها ونظيرتها بأرتريا، وهي قد مرت بمراحل متعددة من الاندماج والتفاعلات، وخضعت لكثير من المؤثرات في البيئة السودانية، والتقري من القوميات السودانية التي تستحق دراسة للوقوف على أثرها وبصمتها في النواحي الأدبية والثقافية. أصبحت منطقة شرق أفريقيا ريقيا التي تمتاز بالمراعي الخصبة والمياه الوفيرة والتجارة العامرة؛ أصبحت قِبلة لهجرة العديد من القبائل من شبه الجزيرة العربية واستقرارها واختلاطها وامتزاجها بالسكان الأصليين؛ مما أثر بصورة أو بأخرى على الحياة الثقافية والأدبية، كيفية انعكاس هذا الحراك في الأدب قد يكشف النقاب عن تراثٍ شعبيٍّ زاخرٍ بالقيم والتجارب الإنسانية التي تستحق الدراسة، مما يوفر الفهم اللازم لإدارة التنوع الإثني واللغوي الذي يمتاز به السودان. يعكس الشعر الشفاهي حِراكاً اجتماعياً ويمكن أن يعكس الكثير عن مجتمع التقري، ويعطي مؤشرات عن نظام القيم لديهم. يمكن استقراء الكثير من المفاهيم والقيم الإنسانية من خلال الأدب الشفاهي للشعوب. والمرأة كقيمة وفرد فاعل وجزء لا يتجزأ من هذه التجربة؛ لها خصوصيتها وبالتالي فإنه من الممكن معرفة الكثير عنها من خلال هذا الأدب. وكذلك معرفة بعض المفاهيم السائدة لديهم.

منهجية الدراسة

تشمل المنهجية كيفية جمع وتحليل النصوص الشعرية للمادة قيد الدراسة. تمثلت وسيلة جمع المعلومات المستخدمة في الدراسة في الاختيار العشوائي للنصوص من قِبل أحد الباحثين المشاركين في البحث (أحمد إدريس)، وهو من الناطقين بلغة التقري، وكذلك تمت الاستعانة بمتحدث ثانٍ للغة التقري (مُحَّد أحمد) بغرض تأمين المصداقية المطلوبة. تمت مراجعة معاني المفردات وكل البيانات عن هذه النماذج والتأكد من صحتها. وكانت الخاصية الأساسية في اختيار النصوص أن تمثل المنطقتين الرئيستين لاستقرار التقري في السودان (القاش والبحر الأحمر)؛ لاحتمال وجود اختلاف يرجع إلى اختلاف البيئات الطبيعية؛ مما قد ينعكس على كتاباتهم. وذلك قد يؤثر على الصورة الذهنية حول المرأة لديهم. وتم اختيار ستة نصوص عشوائياً، أربعة منها لشعراء من التقري في السودان منهم من شعراء القاش بمنطقة كسلا (إبراهيم نوراي) ومنهم من شعراء البحر الأحمر (خالد مُحَّد حامد خير/ مُحَّد إبراهيم عثمان). وهنالك نصَّين لشعراء من التقري في أرتريا ولكن شعرهم وغنائهم متداول ورائج لدى التقري في السودان حتى أصبح جزءاً من تراثهم (إدريس مُحَّد علي /بخيتة علي). الجدير بالذكر أن كل هذه القصائد تُغنّى. وقد قامت الدراسة بتحليل القصائد كما يلي: تحليل المضمون: حيث تم تحليل مضمون النصوص التي تم اختيارها ومعالجتها أدبياً. تحليل المناسبة: وذلك لفهم السياق الذي قيلت فيه القصيدة بحيث يمكن معرفة إن كانت هي نتاج تجربة شخصية فردية أم اجتماعية؛ بحيث يمكن تعميمها على أمة التقري. تحليل اللغة: بهدف معرفة القوالب اللغوية وكيف استخدمها الشعراء لترجمة أفكارهم ورؤاهم؛ لخلق أرضية موحّدة تمكّن من استقراء المفاهيم العامة المرتبطة بالتقري في السودان. استنباط الصور الذهنية حول المرأة من النصوص بعد تحليلها. واستقراء بعض المفاهيم حول المرأة المتعلقة بمجتمع التقري في السودان.

مدخل إلى لغة وقومية التقري

حدثت هجرات عربية من شبه الجزيرة العربية إلى منطقة شرق أفريقيا منذ أقدم العصور، تُعتبر هجرات السبئيين من أكبر هذه الموجات التي أعقبت انهيار سد مأرب عن طريق (عدوليس وباب المندب) إلى السواحل الأفريقية قبل حوالي خمسة قرون قبل الميلاد، ويروي بعض المؤرخين أن هذه الهجرة حدثت نتيجة المجاعة والقحط وشُح المياه؛ مما أدى إلى نزوح السكان من ديارهم شمالاً إلى بلاد العرب وشرقاً عبر البحر إلى أفريقيا حيث تمازجوا مع السكان الأصليين، ومن هذا التمازج نمت حضارة ما يُعرف اليوم بـ " مملكة أكسوم"[1]. ثم انتشروا في أرتريا، وبالمناسبة يُسمى (نهر القاش) في

[1]– هاولد أ . مكمايل ، تعريب سيد علي مُحَّد ديدان، تاريخ العرب في السودان،ط2 ،2013 ،السودان،ج1، ص57–58

مجلّةُ جامعة بخْت الرضا العلمية، محكمة تصدر نصف سنوية العدد (27) مارس2019م
[UBJSR: ISSN :(Print) 1858-6139]
http://mag.uofb.edu.sd

أرتريا (مرب) أي مأرب، ويسمون أحد أنهارهم (عنسبا) أي (عين سبأ)، هؤلاء السبئيون انتشروا في أرتريا، ونشروا معهم اللغة الجئزية(الحميرية القديمة)، العربية الأم، السبئية، سمها ما شئت.[1]

كان لهذه الهجرات دوافعها وأثرها في تشكيل كيان فكري مشترك؛ فقد أثر في نوع الثقافة التي حملها العرب معهم إلى سواحل البحر الأحمر، ومن الواضح ان هذه الجماعات العربية لم تهاجر دفعة واحدة، بل تم ذلك على فترات متقطعة وفي ظروف متعددة.[2] فكانت من هذه المجموعات جماعة التقري. نزحت مجموعات كبيرة من التقري إلى بلاد السودان؛ لأنه يمتاز بموقع إستراتيجي فريد مكّنه من الاتصال بمعظم مراكز الإشعاع الحضاري في العالم القديم. وكذلك وقوعه على ساحل البحر الأحمر ووسطيته في أفريقيا؛ جعلت منه حلقة وصل فاعلة بين حضارات الشمال وحضارات الجنوب في أفريقيا. وقد أصبح بفضل ذلك بوتقة كبرى لأصناف البشر وتيارت الفكر، فأصبحت تمتزج في رحابه العناصر وتنصهر مع الزمن؛ لتشكل ثقافة مختلطة كما حدث في شرق السودان، حدث هنالك الكثير من التفاوت بين الجماعات القبلية من حيث ارتباطهم بالثقافة العربية ولهجاتهم المحلية المعروفة، فمجموعة التقري ظلت معرفتها بلهجاتها المحلية حتى يومنا هذا.[3] مما كان له الأثر في وضع بشري وحضاري فريد للإنسان السوداني يحكي عنه تراث التقري في شرق السودان، ومناطق طوكر وكسلا والقاش حتى الحدود الأرترية. عملت هذه المجموعات بالزراعة والرعي والتجارة؛ فاستطاعت تكوين ثقافة مختلفة لها طابعها الخاص الذي نتج عن اختلاطها بالمجموعات الإثنية الأخرى. كما أصبحت لها لغتها الخاصة ذات الطابع المتميّز الممزوج بالثقافة السودانية والعربية[4]. أصل لغة التقري بحسب كثير من المصادر والمراجع هي لغة "الجئز" أو "الجعيز" أو "القئز"، والتي هي لغة سبئية نسبتها إلى "مملكة سبأ "القديمة في جنوب الجزيرة العربية فيما هو معروفٌ اليوم بالجمهورية العربية اليمنية، وتنتمي الجئز إلى مجموعة اللغات السامية الجنوبية. ويعرف الكثير عن مملكة سبأ و"يُعتبر مجتمع سبأ واحداً من أكبر أربع حضارات عاشت في جنوبي الجزيرة العربية، أسسوا مجتمعهم ما بين 1000-750 -550ق.م الميلاد بسبب الهجمات التي دامت قرنين، والتي كانوا يتعرضون لها من جانب الفرس والعرب. يتحدث اللغة الحميرية/ الجئزية (العربية الجنوبية القديمة) بعض قبائل شرق السودان (الحالي)، أخص بالذكر البني عامر والحباب، إلى جانب بعض القبائل الأثيوبية والأرتريه، وتُعتبر لغة (التقري) وليس (التقراي) كما يكتبها البعض – وللتوضيح (التقراي) قبيلة أثيوبية لغتها (التقرنية)، أما (التقري) دون ألف بين الراء والياء فهي لغة يتحدث بها كما أسلفت (بعض سكان شرق السودان)، وتعتبر لغة التقري إحدى أهم اللغات (وليس اللهجات) الحميرية في الساحل الغربي للبحر الأحمر (البحر الحبشي) كما سماه المسعودي في سِفره الموسوم (مروج الذهب)، ولغة التقري مثل غيرها من اللغات الحميرية الجئزية، حقنت العربية الشمالية (الفصحى حالياً) بمفردات كثيرة، من أهما كلمه (مُصحف) وهي كلمة حميرية[5]. قدّم المهاجرون الوافدون من اليمن لأفريقيا الكثير من المساهمات؛ من بيها لغة سبأ في ما هو اليوم شمال أثيوبيا وأرتريا، والتي عُرفت في الحبشة باسم جعيز؛ نسبة إلى القبيلة التي كانت تتخاطب بها، ويبدو أن عُمر الجعيز كلغة تخاطب كان قصيراً نسبياً ، إذ اختفت كلغة حية في حدود 1000 وبقيت لغة الأدب والطقوس الدينية في الحبشة إلى يومنا هذا والجعيز أم اللغات الرئيسة الثلاث التي يتخاطب بها اليوم في الحبشة و أرتريا ، وهى التجرنية ، والتجرية ، والأمهرية "[6]. كانت هنالك مجموعات عربية (التقري) تعيش في أثيوبيا، إلا أنها انتشرت في مناطق شرق السودان بعد انتشار الإسلام، وامتزجت لغتها باللغة العربية ومن جراء هذا التمازج اكتسبت قبائل التقري نوعاً من الذاتية والتطور، واكتسبت لغاتها قوة التعبير وروعة التصوير تُرجمت كلها لقصائد شعبية عبرت بها عن واقعها. إن تأثير اللغة العربية على التقري ليس محصوراً في الكلمة المنطوقة فقط؛ بل تعداها إلى الكلمة المكتوبة حيث يؤكد ذلك الدكتور جلال الدين مُحَّد صالح .."لقد عبّرت التقري عن ذاتها بالحرف العربي لاعتبارات عدة، وأصبح الناطقون بالتجري بحكم العقيدة والشعور بأحاسيس الانتماء العربي وجدانياً، واقتصادياً، وجغرافياً، ألصق الناس بالحرف العربي يتلون به كتاب الله، ويدرسونه في الخلاوي القرآنية منذ نعومة أظفارهم، بل ويكتبون به لغتهم التجري إذا ما أرادوا التخاطب بها في مراسلاتهم.[7] لذا فما كان لدى الباحثين بُدٌّ من تناول القصائد.

---

[1]– هاولد أ . مكمايل ، المرجع السابق ،ج1، ص 58–62

[2]–مُحَّد فوزي مصطفى عبدالرحمن ، الثقافة العربية وأثرها في تماسك الوحدة القومية في السودان المعاصر، ط1، بيروت ، 1972، ص20

[3]–مُحَّد فوزي مصطفى عبدالرحمن ، المرجع نفسه ، ص20

[4]– عون الشريف قاسم، من صور التمازج القومي في السودان،ط2، 1990م، السودان ،ص10

5 - http://modaina.com/arabic/tigre_nationality.htm

6http://erifuture.ahlamontada.com/t706-topic

7http://erifuture.ahlamontada.com/t706-topic

مجلّةُ جامعة بخْت الرضا العلمية، محكمة تصدر نصف سنوية العدد (27) مارس2019م
[UBJSR: ISSN :(Print) 1858-6139]
http://mag.uofb.edu.sd

تحليل النصوص والنتائج

تشتمل الجزئية التالية على تحليل النصوص المختارة عشوائياً من التراث الشعري الشفاهي للتقري كلاً على حدا. هنالك تحليل للمضمون، اللغة، والسياق. نتج التراث الشفاهي لمجموعات التقري الإثنية من الاختلاط الواسع بين المجموعات الوافدة والجماعات المستقرة في شرق السودان، وحدث نوعٌ من امتزاج الأفكار وتقارب وجهات النظر والإلفة والمحبة؛ فاختلطت العناصر في عفوية مكونة هذا النموذج البشري. تحدث التقري لغتهم، والتي هي مزيج بين العربية الفصحى والعامية السودانية؛ متناولين شتى القضايا التي تمسّ كيان المجتمع. تحدثوا عن المرأة بتحفظ باعتبارها كائناً بشرياً رقيقاً له مكانته في المجتمع، تحدثوا عن وضعها الاجتماعي أنها امتداد لجيل الأمهات والجدات، وأنها متحفّظة ومشبّعة بالقيم الدينية، فهي ليست بالسهلة المنال. ومما يوضّح هذا قول الشاعر خالد مُحَّد حامد خير في قصيدته (شوقا) والتي ستكون اولى القصائد في التحليل.

مضمون القصيدة

اذا كان النص يدرو حول (الشوق) كما يبدو من اول من كلمة في القصيدة فان الشاعر حريص ان يقدم مسوغات هذا الشوق في (الادب والزوق والاخلاق) الذي أبدع به الخالق في خلق المحبوبة، ولان هذا الشوق اضنى الشاعر فانه سيبحث عن مناسبة تتيح له رؤية هذه المحبوبة وليس هناك غير يوم عيد الأضحى المبارك والذي سماه الشاعر ب (عرفة). وأثناء هذه الزيارة يحاول الشاعر أن يتملّى في اوصافها خلسة، بما لا يتعدى ما يظهر منها؛ الشعر والوجه والايادي. فالصوره الذهنية التي يمكن التماسها من خلال القصيده أن المرأه لا يتغّنى بها أو يعبّر الشعراء عن أشواقهم لها كحبيبة في صورة غزل حسّي بل يتم التغّني بفضائلها واخلاقها، ويرجع ذلك إلى سيادة الروح الدينية الاسلامية وسط أمة التقري والتي تمنع ذلك.

شوقا[1]

شوقا عذَّبيتَّى, قِمِشْ مِيتُو لَأشواق
ربى سنَّى مَنَيّا أدب وزوق وأخلاق
عَمِلّاى عرفه شانَّت كَدكو لأفياتا
إتتهاجك رئيكُوّا وإتتعايد سَناتا
عرفه كير وبركَتْ دهبت جلال حواتا
إب حِد نَسنى كُبوده وإلّا ناى يوم بنّاتا
طانَّه ليلت قدِر تا إلا ما عمِل عرفه
إت جنّ لأقلوبنا إدماى أحِد سادفا
أكِل قِيّاس أمّكو لَبِي جديد تأسّفا
قهيات قبئا لعِنتاتِي وِيَ طبطكو لَوسفا
قِيماى كرم شلِيلا شَعلوت كرم شالكِيتا
إت تتهاجك باك سَنّات وَدْقت مِنّا مِلْشِيتا
حوجب هلال رمدان وطِبح مِدِر سيتِيتا
إت حلم ما من قِبّئ طالب أنا مَرئِيتا
دحرياها إمّاتا "بركَتْ ربى ونبى,
هِي دِيبا ونِسئِي وإلا فِيَّ رِكَبى"
آمين إبى من لِبِي : دعاهن قِبَل يا ربى
من قِسمتِي وِدَيّا بعلّ إدى هلَبّئ

[1] –عون الشريف قاسم ، قاموس اللهجة العامية في السودان ، الخرطوم ط3،2002م ص553

مجلّةُ جامعة بخْت الرضا العلمية، محكمة تصدر نصف سنوية العدد (27) مارس2019م
[UBJSR: ISSN :(Print) 1858-6139]
http://mag.uofb.edu.sd

قصيدة(شوقا) للشاعر خالد مُحَّد حامد خير، وهو من شعراء التقري المعاصرين في السودان. نجد قصائده مزيجاً بين لغة التقري واللغة العربية والعامية السودانية؛ كنتاج للتواصل والتأثير والتأثر الذى يطال اللغات لاسيما الموجودة منها في مناطق التماس الثقافي. جمع الشاعر بين اللغةالعربية الفصحى وبين لغة التقري، فـ (شوق) هي كلمة عربية فصحى، عبّر الشاعر عن فكرته بقوالب أدبية متنوّعة منها التشبيه، (عرفه كير وبرَكَتْ دهبت جلال حواتا) عيد خير وبركة، جوهرة تاج أخواتها (شبه الفتاة بالذهب والجواهر) وهو تشبيه بليغ. هناك تشبيه العيد بليلة القدر فكلتاهما مناسبات دينية يتم الاحتفال بهما ويتم للدعاء فيهما.هنالك تشبيه إذشبه شعرها بالسحب الداكنة. كما شبه الضفائر بالعشب الذي ينبت في الخريف(قِيماى كرم شلِيلا شَعلوت كرم شالكِيتا).الحواجب مثل هلال رمضان والابتسامة مثل الشروق(حوجب هلال رمدان وطِبح مِدِر سيتِيتا). تحدث الشاعر مع أصدقائه عما يجيش بدواخله، وهي عادة توجد في معظم الأغاني السودانية، متحدثاً بلغة التقري ثم نفذ منها إلى اللغة العربية، فقد مزج الشاعر بين لغة التقري واللغة العربية مثل(قلوب ودماء)؛ فإنهما من الكلمات العربية الفصحى، وهذا يشير إلى تأثر الشاعر باللغة العربية، تحدّث الشاعر عن حبيبته وعن(شوقا) الذي عذّبه وكيف ان أشواقه للمحبوبة ليست بالشيء السهل الهيّن، لكن على الرغم من كل هذا العذاب فإنه يسأل الله الذي خلقها وأبدع في خلقها وحباها الأدب والذوق، وهذه القيم الاجتماعية التي يذخر بها التراث العربي والسوداني أن يرى محبوبته حتى لوكان ذلك في المنام.

عَمِلّاى عرفه شانَّت كَدكولأفياتا
إتتهاجكرئيكُّواوإتتـــــعايدسَناتا
عرفه كير وبرَكَتْ دهبت جلال حواتا
إب حِد نَسنى كُبوده وإلّا ناى يوم بنّاتا

الطقوس الدينية والعلاقات الاجتماعية في قصيدة (شوقا)

يتحدّث الشاعر عن الطقوس في العيد وزيارته للمحبوبة في يوم عرفة(عيد الأضحى المبارك)، وإن زيارته تعبّر عن مكانة المحبوبة، وأن لها مكانة خاصة. تتمثل في القصيدة المعاني والقيم الإسلامية، فقد جاء الاستشهاد بيوم عرفة. والذي لجأ فيه الشاعر إلى رؤية المحبوبة الموصوفة بالذهب تتسامر مع نديداتها وصاحباتها، إذن هذا اليوم يوم خير وبركة، وهو أيضاً يدعو ببركة يوم عرفة أن يجمع الله بينهما.

طانَّه ليلت قدِرتا إلا ما عمِل عرفه
إت جنّ لأقلوبناإدماى أحِـــد سادفا
أكِل قِيّاس أمّكو لَبِي جديد تأسّفا
قهياتقبئالعِنتاتيويَطبطكو لَوسفا

يتساءل الشاعر وهو يرى المحبوبة بهذا البهاء والجمال؛ هل هذا اليوم يوم عرفة أم ليلة القدر؟ إنه اليوم الذي امتزجت فيه دمائنا مع بعضها البعض، وقلوبنا تكاد تذوب من الرقة حتى لكأنها سالت على بعضها، وهامت حتى أنه كل ما فكّر في الذهاب لم يستطع فيجلس مرة أخرى من جمال ما يراه؛ للدرجة التي يشرد فيها ويغيب عمن حوله نهائياً، (يطيل النظر) إلى الدرجة التي لم يستطع فيها الانتباه إلى أوصاف المحبوبة.

قِيماى كرم شلِيلا شَعلوت كرم شالكِيتا
إت تتهاجك باك سَنّات وَدْقت مِنّا مِلْشِيتا
حوجب هلال رمدان وطِبح مِدِر سيتِيتا
إت حلم ما من قِبِئ طالب أنا مَرئِيتا

يشبّه الشاعر شعر محبوبته بالغيوم السوداء في الخريف، فشعرها في سدوله يشبه المطر الغزير المستمر الهطول، وهو لمح ذلك خلسة عندما كانت تتحدث وتتسامر مع نديداتها ووقعت منها الطرحة أو الحجاب، أما حاجبيها فهما مثل هلال رمضان وأسنانها بين الفلجة مثل بياض الصباح، وهو يسأل الله أن يمنّ عليه برؤيتها حتى وإن كانت هذه الرؤية في الحلم. ويواصل اختلاسه السمع لأمهاتها وجداتها وهن يدعين لها كعاده الامهات في العيد وفي الزيارات ودعاء الناس لبعضهم البعض في الأعياد، هو عادة سودانية أصيلة أُستمدت من الإسلام وهي متّاصلة لدى التقري.

دحـــرياها إمّاتا "بركَتْ ربي ونبي,
هِي دِيبا ونِسئِى وإلا فِتّنْ رِكَـــــبِي"

مجلّةُ جامعة بخْت الرضا العلمية، محكمة تصدر نصف سنوية العدد (27) مارس2019م
[UBJSR: ISSN :(Print) 1858-6139]
http://mag.uofb.edu.sd

آمين إبى من لِبِي :دعاهن قِبَل يا ربي

من قِســـــــمتي وِدَيّا بعلّ إدبهلَبِئ

ويستمع الشاعر لأمهاتها يدعون لها (إن شاء الله وببركة نبيه تقدري تاخذي وتعطي، وتكوني كريمة ومعطاءة وأن تجدي ما تتمنيه) ومن شدة تركيزه ولهفته يرد من قلبه ويقول قلت: آمين يارب تتقبل دعاءهم، ويضيف: وتجعلها من قسمتي صاحبة الأيادي البضة. تحدّث الشاعر عن بعض القيم الاجتماعية والدينية السائدة في مجتمع التقري (الذوق والأخلاق والأدب والعفاف والحشمة) فهي من المؤشرات الموروثة التي تؤكد قوة البنية الأفريقية الممزوجة بالعنصر العربي وذلك يعني التمسك بأهداب الدين الإسلامي ضرورة لمجتمع التقري. تحدّث الشاعر عن زيارة الأهل والأقارب في مواسم الأعياد، وهي من العادات المشتركة بين مجتمع التقري والمجتمع السوداني الأصيل، كما أنها من الاعراق والاصول التي تشظّت في شتى الربوع، وأحرزت ثقافة سودانية راقية. كما ذكر الشاعر المناسبات السعيدة التي يتصافى فيها الناس، وتكثر فيها الدعوات بالخير والبركة؛ فبرغم كثرة المدح في هذه القصيدة إلا أنها تقف على الكثير من صفات مجتمع التقري فهذا مدح في مظهره، إنما تاريخ لهذا ممذوجاً بالاصالة العربية السودانية التي تعكس إبداعات المجتمع العربي الأفريقي التي أعلن عنها الشاعر، وأفصح عن مكنونها في هذه القصيدة.

القصيدة الثانية بعنوان (**حِميت**)، وهي للشاعر خالد مُحَمَّد حامد خير.

مضمون القصيدة

كعادة الحبيبات في بيئة الشاعر؛ فهنّ بعيدات المنال ومضروب عليهن الحصار دائما، لذا فإنهن يتواصلن مع محبوبهن من خلال الخطابات والرسائل (خالد من شعراء أواخر الثمانينات فهو معاصر). والشاعر هنا يعبّر عن لومه وعتابه ويحتج على عدم وصول خطابات المحبوبة وسلامها إليه، ويبدأ في وصف هذة المحبوبة خلال القصيدة ويصف حالة من الشوق لرؤيتها ويترّجاها ان تمرّ عليه بنظرة فقط (شبينا). ويترّجاها أن يجلسا سويا ليتناقشا ويصلا لحل لهذا اللوم والعتاب، ولكن هيهات أن يلتقيا، ويظهر هذا في نبرة اليأس التي سادت وهو يتقدم إلى المحبوبة بهذا الطلب. والصورة التي يمكن استقراءها هنا هي صورة "*المرأة صعبة المنال*" والتي يصعب الوصول إليها.

حِميت

بِبطحيتّي جوابا وِبِبطحَتْتّي سلاما

سْئولاإِتّي لَشوكن حميتَنّيهتاما

***

رأسا قرين هردبا عِدال إقْلا من إنطحاى

بِي إبيلّا إب حسّتْ وبِي إبيلّا إبحلاى

طِبح مِدِر بَشِرا فِقْرت ورح وجَهراى

***

بِعِدربتعدّركوتِرهانلالِبوحِلاى

فاتِمِنتُو سارِبُو إمبَّلْ أورو لَفتاى

ربِّي فِرْهِيهى ولَتْ شِبِينا وشُوكاى

مِسِلْ إندّى تقسّينا حميت أحِد نَأسِلّا

بِي تحَلِّفْ بِيهِلّيت قادر مولاساهِلّا

سِرْ نودى كُبوده عِقْدِتْ ربِّي لَحِلّا

والفقرة الأولى من القصيدة

مجلّةُ جامعة بخْت الرضا العلمية، محكمة تصدر نصف سنوية العدد (27) مارس2019م
[UBJSR: ISSN :(Print) 1858-6139]
http://mag.uofb.edu.sd

بِبطحيتِي جوابا وبِبطحَتْتِي سلاما

سْئولاإِيّي لَشوكن حميتَنّبهتاما

لم يصلني خطابها، لم تصلني من الظبية تحية (لم يصل خطاب من المحبوبة ولا سلام) لم يصلني جوابها ولم يصلني سلامها اسألوها ماهو سبب ذلك، فلي عليها عتاب ولوم إذ أنها اعتادت دائما أن تسبقني باللوم.

رأسا قرين هردبا عِدال إقْلا من إنطحاى

بِي إبيلّا إب حسّتْ وبِي إبيلّا إبحلاى

طِبـــح مِدِر بَشِرا فِقْرت ورح وجَهراى

لها شعر غزير وكثيف لدرجة أنه يشكّل لها ظلاً من الشمس، وهذا الكلام صحيح وصادق وليس مجرد غناء ومدح، كما أنه شبّه لون جسمها بنور الصباح عندما يشرق وشبّهه بطلعة القمر.

بِيعِدريتعدّركوتِرهانلالِيوحِلاى

فاتِمِنتُو سارِيُو إمبَّلْ أورو لَفتاى

ربِّي فِرْهِيهى ولَتْ شِبِينا وشُوكاى

مرض الشاعر وصاحبه الأرق والسهر من شدة شوقه لرؤية المحبوبة، فهو يرى أن دواء العاشق يكمن في رؤية من يحب، ويطلب من المحبوبة أن تخش الله فيه؛ وذلك بأن تخرج لكي أراكِ ولو لبرهة من الزمن، لأن هذه الرؤية هي غذاء للروح. يخاطب الشاعر المحبوبة باللغة التي قد تؤثر فيها وهي الخطاب الديني والذي يكمن في الرحمة وخشية الله. وهو يدل على سيطرة المفاهيم الاسلامية وسط التقري.

مِسِلْ إندّى تقسّينا حميت أحِد نَأسِلّا

بِي تحَلِّفْ بِيهلّيت قادر مولاساهِلّا

سِرْ نـــودى كُبوده عِفْدِتْ ربِّي لَحِلّا

كل ما يطلبه الشاعر هو جلسة لوم وعتاب؛ وذلك لحل مشاكلهما وحجته في ذلك أنه ليس هناك مايستعصى على الحل، وكل المشاكل لها حلول (مولاي ساهلا) ما عليهم سوى الصبر وهذه العقدة سيحلها الله. وهو أيضاً يعكس الروح الإسلامية والإيمان بقدرة الله على كل شيء. تحدثت هذه القصائد عن المرأة بلغة التقري مع بعض المفردات العربية. ومن الملاحظ وجود النزعة الدينية في القصائد، وأن هذه القصائد أحاطت المرأة بنوع من التقدير والاحترام وهذا يوضح مكانتها، هذا ما يوضح أن شعر التقري فيه ثراء ومفعم بالقيم الراسخة في المجتمع العربي؛ فقد انتقل بكلما فيه من قيم عربية مع مجموعات –التقري– التي دخلت السودان واستقرت فيه حيث الأمان والحياة الكريمة.

القصيدة الثالثة تمثل نموذجاً آخراً من شعر التقري، فالقصيدة تجسّد واقعاً مُعاشاً وتناقش قضية منقضايا المجتمع التي برزت على السطح بصور كبيرة وملموسة في الوقت الراهن وتعكس الواقع الإقتصادي وما ترتب عليه من سفر الغالبية للعمل لتحسين الظروف المعيشية لعائلاتهم.ولكن ما هو المردود على الأسر وكيف تعاني في غياب رب الأسرة؟ وهي الصورة التي رسمتها الشاعرةبخيتة *علي*في قصيدتها (**ديمه ريّمْ وقرّب وسفر**).

ديمه ريّم وقرّب سفر

إندّى علّب إب سامن وشهر

نايكالاكين حلفت حدودا ... نعا اقبِل قِل تِرهى سدودا

***

حِرمت أنا إت بيت إنبّر ... إقلإدلبِي أتّى وبِي فقّر

سفلليكّانُوشاى ود بِكِر ... داقِم حدا مِسلو لمحروم

مجلّةُ جامعة بخْت الرضا العلمية، محكمة تصدر نصف سنوية العدد (27) مارس2019م
[UBJSR: ISSN :(Print) 1858-6139]
http://mag.uofb.edu.sd

سنين بِيبات قهى وعذاب ... مرئِيتِيبكو وسلام إب جواب
لكفكنِّي مِسِل جنايي ... نايكاهلّيكو من تهّللنايّ

***

قِل مساريف من تِلئِكسلادى .. مِى قِل لقبأ من قئكا بادى
مما حِنا راديامورادى ... قِلمِى تشاكى حكيم وقادى
دِيب طبريكاحالفكوها وِغِر ... وِلّاد بِكون وسِنيت منبرا
مِسِل وليبات بيت وبِيّن ... فردكنّبِاتمأسر وسجن

***

رحم دِيبولنُؤوشاى ... إقِل لآمر لذت نابوالداى
لِسألنِّي " إقِلأبويِ" ... عِنتابحامِم وبِلِس أفويِ
إندى تمدّى م تِتودّى ... وإندّى تولّد, خارج تِتعدّى
إمبَّل رحمت, سنين بدّى ... حِرمت جامِمونُؤوشاى بكّى

ارتبطت قضية الاغتراب بالمتجمع السوداني، وسببت هاجساً للمرأة باعتبارها القائم على أمر الأسرة في غياب الأب. هذا ما عبّرت عنه الشاعرة .

ديمه ريّم وقرّب سفر
إندّى علّب إب سامن وشهر
نايكالاكين حلفت حدودا ... نعا اقبِل قِل ترهى سدودا

فهي ما زالت تحسب الزمن بالأسابيع والشهور في انتظار زوجها؛ والذي فاقت غربته كل الحدود وهو ما زال غائباً. تنتظر عودته لتنهي وحدتها وما تشعر به من ضيق.

حِرمت أنا إت بيت إنبّر ... إقلإدلبِي أتّى وبِي فقّر
سفلليكّانُؤوشاى ود بِكِر ... داقِم حدا مِسلو لمحروم
سنين بِيبات قهى وعذاب... مرئِيتِيبكو وسلام إب جواب
لكفكنِّي مِسِل جنايِ... نايكاهلّيكو من تهّللنايّ

تصف الشاعرة حالها؛ فكونها امرأة –وكما جرت العاده– تمكث في البيت كثيراً في فترة غياب زوجها ولا تستطيع الخروج؛ الأمر الذي جعلها محبوسة، يسيطر عليها إحساسها وكأنها في سجن لا تخرج منه، وليس لديها معرفه بما يجرى في العالم حولها. أثّر ذلك سلباً على علاقاتها الاجتماعية وضرب حولها سياجاً من العزلة والوحدة. وهذه الصورة ترسّخ القيم الدينية والاجتماعية لدى التقري، وهي ذات القيم التي يتمتّع بها المجتمع السوداني ككل، فيجب أن تبقى المرأة مُصانة، بعيدة عن الشبهات. أفصحت الشاعره عن تبرمها من هذا الوضع الذى لا يختلف في نظرها عن الأسر والسجن. كما أنها تتحدث عن افتقاد طفلها البكر الصغير لأبيه. وهي في ذات الوقت تترقب رجوع زوجها دون أمل، وتمرُّ السنين ملأى بالعذاب والشقاء دون سلام أو حتى مجرد خطاب، ورغم ما تعانيه وابنها فهي تجدد عهدها له وتؤكد له ب (*أنني سأظل على عهدي لك إن أنت ظللت لي*) .

قِل مساريف من تِلئِكسلادى ...مِى قِل لقبأ من قئكا بادى
مما حِنا راديامورادى ... قِلمِى تشاكى حكيم وقادى
دِيب طبريكاحالفكوها وِقت ... وِلّاد بِكون وسِنيت منبرا
مِسِل وليبات بيت وبِيّن ... فردكنّبِاتمأسر وسجن

مجلّةُ جامعة بخْت الرضا العلمية، محكمة تصدر نصف سنوية العدد (27) مارس2019م
[UBJSR: ISSN :(Print) 1858-6139]
http://mag.uofb.edu.sd

وتستطرد الشاعرة لتؤكّد عدم اكتراثها بالأموال التي يرسلها لهم زوجها؛ فهي لا تساوي شيئاً في غيابه، وتؤكّد بأنها غيرُ متطلّبة وقنوعة لأنها ترضي بالقليل، وطموحها هو الاستقرار وإنجاب الأبناء، ولكن ها هو الزمن يمضي وهي تعاني الأمرّين في غيابه.

رحم دِيبولنُؤوشاى ... إقِل لآمر لذت نابوالداى

لِسألنِّي "إقِلأبوبِي" ... عِنتاتجامِم وبلِس أفوبِي

إندى تهدّى م تِتودّى ... وإندّى تولِّد, خارج تِتعدّى

إمبَّل رحمت, سنين بدّى ... حِرمت جامِمونُؤوشاى بكّى

وتختم الشاعرة قصيدتها برجاء أن يرحم زوجها هذا الصغير الذي يسأل عن والده باستمرار، وهي لاتملك إلا دموعها لتجيبه والحزن في عينيها. فهي تتساءل باستغراب(كيف يتأتّى لك وبعد أن تتزوج أن تفعل هذا؟ وتقصد هنا الهجرة ومغادرة البلد، الأمر الذى تعتبره خالياً من الرحمة ومن المراعاة لهذا الولد الذي يبكي) وكأنها تريد أن تقول هل يعقل هذا؟!.

وهنالك العديد من القصائد من شعراء التقري بأرتريا؛ يُتغنى بها وسط التقري في السودان وهي شائعة. القصيدة التالية لفنانٍ ومغنٍّ من أرتريا، ولكن لأغانيه وجودٌ كبيرٌ في السودان، بل إن كل مغنيي التقري يرددون أغانيه وهم في طور البدايات, الشاعر والمغني إدريس مُحَّد علي، ومن أغانيه(**ود عدكى**).

من سِنّتكوفتايكى, ود عدكى

إلّومبايدام أفو شايب هبوكى

***

سِراى ألباب من إيدبى نسئوّا

إندّبارئيّا قلّا شايب هبوّا

إتِي لهلّيت ديب ولّادوملرئوّا

***

سِراى ألباب إتّياهلّيتِي أمّر

أقبلينبإمبليكيسإنبّر

لِبِي عولا مِسلا قبئادنبّر

***

يتحدّث الشاعر إدريس مُحَّد علي في قصيدته عن احتجاجه على أهل المحبوبة الذين زوّجوها لرجلٍ كبيرٍ في السن؛ بدلاً عن تزويجها لقريبها ولحبيبها وهو في نفس سِنّها.

من سِنّتكوفتايكى, ود عدكى

إلـّومبايدام أفــو شايب هبوكى

يلوم الشاعر هنا أهل المحبوبة معاتباً إياها لماذا يزوجك أهلك من شخص كبير في السن؟ هل يعقل هذا بدلا من تزويجك لشخص مناسب لك وهو قريبك وفي نفس سنك وحبيبك؟! وهو هنا يقصد نفسه. الكلمات التى صاغها الشاعر تتحدث عن الزواج غير المناسب؛ فقد جاءت القصيدة مشبّعة بالتحسّر والندم، نجد هذه الممارسات موجودة في المجتمع السوداني بصورة كبيرة وخاصة في المناطق الريفية بحيث يتم تزويج الفتاة دون أخذ رأيها فيمن ستتزوج. لا يحق للفتاة معارضة رأي الأهل، الأمر الذي يحدّ من حرية الفتاة في اختيار الشريك، وهو امر لا تقبله الكثير من المجتمعات. وهذا مجرد عُرف لأن الإسلام يضع من موافقة المرأة شرطاً لصحة الزواج.

سِراى ألباب من إيدبى نسئوّا

مجلّةُ جامعة بخْت الرضا العلمية، محكمة تصدر نصف سنوية العدد (27) مارس2019م
[UBJSR: ISSN :(Print) 1858-6139]
http://mag.uofb.edu.sd

إندّبإرئيّا قلّا شايب هبوّا

إتِي لهلّيت ديب ولّادوملرئوّا

ومواصلة في الاحتجاج، يصوّر الشاعر قسوة تزويجها للرجل الكبير بعد أن كانت له، وهو يصوّر مجازاً بأنهم انتزعوها منه انتزاعا،فليس بيده حيلة سوى ا لدعاءعليهم بأن يحدث ما فعلوه به لذرياتهم. وهذا يدعّم مفهوم السلام الاجتماعي في البعد عن العنف، بالإضافة إلى وجوب ان يتلاءم الفرد مع كل ممارسات المجتمع وإن تعارضت مع رغباته وأحلامه. وهي رؤية لمجتمع التقري وتعكس نظام المجتمع، والذي يقوم على الاحترام المطلق لكل ممارسات وقيم المجتمع. وهنا وُصفت المرأة بالضعف وقلة الحيلة والاستسلام والافتقار إلى إمكانية رفض اختيار الأهل في أهم قراراتها والمتمثّلة في اختيار الشريك.

سِراى ألباب إتّياهلّيتِي أمّر

أقبلينإمبليكيبإنبّر

لِيِي عولا مِسلا قبنادنبّر

وهو بات لا يعرف لها مكان، وهو يرجوها بيأس أن ترجع إليه لأنه لا يستطيع العيش بدونها، ثم ينتقل ليصف حاله بعدها، يرسم الشاعر صوتره يشبّه فيها قلبه بالطائر ذي الجناحين لأن قلبه طار وتبعها.

يُعتبر النص التالي من النصوص التي حوت مفاهيم وصور ذهنية للتقري حول المرأة، فهو يقوم على الوصف الحسيّ للمحبوبة.النص للشاعر *إبراهيم نوراي* بعنوان ***(طُلُولْ قروبايا)*** وهي تعني ذات الجسد اللبّن الطري.

مضمون القصيدة

بدأ الشاعر قصيدته بوصف حسيّ صارخ لجسد المحبوبة بأنه ليّن وطري مثل السعف وهو فرع النخيل في تثنيه، وكيف أدخلته رؤيته لمحبوبته في حالة من الجنون. وفي استدراك سريع فإن الشاعر يتراجع ويبدأ في وصف حاله مع المحبوبة والتي هي غير آبهة لهذا الحب؛ فهي تحدثه كشخص على عجلة من أمره يريد العودة مسرعا. ويصف ولعه بهذه الفتاة الجميلة ومحاولاته لعدم الإفصاح وكبت إحساسه ولكنه مُبتلى. ولكن على الأرجح انعدام تجاوب المحبوبة مع هذه المشاعر يرجع إلى استشعارها لقوة وتعقيد السياق الاجتماعي. والشاعر إبراهيم نوراي من الشعراء المعروفين والمعاصرين وقصته معروفة في كل نواحي ريف كسلا، وقصائده حافلة بالصور الكثيرة التي تندد بالسياق الاجتماعي الذي حال دونه ومحبوبته. فهو هنا يتحدث عن السياج المضروب حول الغزل والمحبوبة.

لوها طُلُول قروبايا تِتْهلاباً كِمسَلْ كَعْلَتْ

إندّى إتْبالَسْ مُيُّوىْ علكُو كِمْسَلْ عِيُّون بَعَلْ حالتْ

أفو إبْ ساغُور فاهكِي باكْيِي كِمْسَلْ شافِقْ بْعَلْ إقْبالَتْ

إتِطار كِتِنْ من تحلْفِينى كَفْو إداقِمْ إب قَمالَتْ

إفَتِيًّا إفَتِيًّا , أنا أف حليب إفَتِيًّا

بيني وبينكِي لهلّيت كِرياج نفَرْ طابطا من تِلْهِيا

إنتى لانُو مِى قارتْكِي لْحياتْ إيِّ أمْشَقْكِيّا

كِلْفَتِّيِ مَكتُوبتْيِي من تِتْهاقى مِى إبَلّا

رُودُوىْ لاتا من أقلُوبُو حَبَّتْ سمسم لِتْكافَلّا

إندّى حبابِغْ وإندّى إساتِرْ درير دهباى لِيِي بلّا

والنص الأخير أيضاً يحوي صوراً من الصور الذهنية للمرأة عند التقري، وهو نص للشاعر *مُحَمَّد إبراهيم عثمان* بعنوان (***نِيِيش هِلّيتْ***) وهي تعني أنها لا تزال صغيرة . القصيدة برمتها عبارة عن رد من الشاعر على من يعتبر محبوبته لاهية وعابثة فهو على امتداد النص يزجرهم، ويبرر هذا اللهو بأنها لاتزال

مجلّةُ جامعة بخْت الرضا العلمية، محكمة تصدر نصف سنوية العدد (27) مارس2019م
[UBJSR: ISSN :(Print) 1858-6139]
http://mag.uofb.edu.sd

صغيرة في السن، ويتخلل ذلك بشكل متسق تقديم أوصافها الجمالية التي أغلبها سلوكية وأخلاقية (ملازمة للأمهات) على الرغم من أنه يفرد المقطع الأخير كاملاً لأوصافها الحسية ولكنها لا تتعدى أجزاءً من الوجه. ولكن ما لا يمكن أن يتقبله الشاعر هو التقليل الضمني من شأن المحبوبة من قبل المجتمع حوله، ووصفها (بالجاهلة والصغيرة)، لا يقلل صغر السن من فرصة البنت بالزواج، ووصف المحبوبةبالبنت الصغيرة والجاهلة لا يقلل من فرصتها في الارتباط والزواج؛ ولكن سبب احتجاج الشاعر هنا هو اشتباه (الطَيْش) وليس إلى كونها صغيرة السن فالبنت الصغيرة مطلوبة داخل هذة المجموعة واغلب البنات يتم تزويجهن صغيرات في السن، لذلك نجده يصرّ على أنها (قلت بيكون) ليست بطائشة (من اماتا فاقرت بيكون اب جفر) ملازمة لأمهاتها؛ للدلالة على المحافظة وعلى تناقل القيم (تشابت بيكون من مالي) أي لم تخرج لتلقي نظرة؛ كناية عن أنها قليلة الخروج. وهنا يؤكّد الشاعر أن صغر السن لا يمنع الارتباط والزواج ولكن ما ليس مقبولاً هو صفة الطيش.

حِدَقُوّا نُوش بدير لِتّلْهى

قِلّتْ بِيكون إت كِلْ أكان تِتْوالى

إب قِنْحَتا أنا لِبِي لِتْسارى

سفللكُوّا شابّتْ بِيكون من مالى

نِيِش هِلّيت ونُوش هلّا لا لِبّا

من إمّاتا فاقْرَتْ بِيكون إب جَفرْ

حبّرُوّا نُوش بدير لِتْحَبّرْ

من تِسَّحَقْ حليب مَسِّلْ ومَعَرْ

ومن تِتهاجَكْ أسِكْ تْكَلِّسْ تِطَبّرْ

نِيِش هِلّيت ونُوش هلا لا لِبا

أتهاجْكِينا أسِكْ طَبّح لَمِدِرْ

نَفّيسايكِى بُرود شمال ألعَسِرْ

عِنتْيتاتكِى فانوس قاوِى لأتْخَبّرْ

أنيبياتكِى قهرت قابأتْ سَبَبّرْ

نِيِش هِلّيت ونُوش هلا لا لِبّا

النتائج

1/ الصورة السائدة للمرأة لدى التقري في النصوص قيد الدراسة هي صورة المحبوبة، وُصفت المرأة بالضعف وقلة الحيلة والاستسلام والافتقار إلى الامكانية في رفض اختيار الأهل في أهم قراراتها؛ والمتمثّلة في اختيار الشريك.

2/ ما تم استقرائه من **مفاهيم وقيم** انعكست جلياً في هذه النصوص هو:

3/ سيادة الوعي في وصف المرأة وهو وصف يتصف بالاحتشام.فالصورة الذهنية التى يمكن التماسها من خلال القصائد أن المرأه لا يُتغنّى بها أو يعبّر الشعراء عن أشواقهم لها كحبيبة في صورة غزل حسّي، بل يتم التغّني بفضائلها وأخلاقها، ويرجع ذلك إلى سيادة الروح الدينية الإسلامية وسط أمة التقري والتي تمنع ذلك.

4/ سيطرة المفاهيم الإسلامية وسط التقري. من القيم الاجتماعية المستقاة من القصائد قيد الدراسة عن مجتمع التقري بالسودان: الزيارات ودعاء الناس لبعضهم البعض في الأعياد هو عادة سودانية اصيلة مستمَدّة من الإسلام، وهي متّاصلة لدى التقري.

5/ ايضا فإن الحبيبات في بيئة الشعراء بعيدات المنال، ومضروب عليهنّ الحصار دائما، لذا فإن التواصل لا يتم من خلال الخطابات والرسائل.

6/ استخدام الخطاب الديني عند مخاطبة المحبوبة، فهي اللغة التي قد تؤثر فيها، والذي يكمن في الرحمة وخشية الله. وهو يدل على سيطرة المفاهيم الإسلامية وسط التقري.

7/ مناقشة بعض القضايا الاجتماعية المهمة، وهي السفر والثمن الباهظ الذي تدفعه المرأة جراء ذلك.ارتبطت قضية الاغتراب بالمجتمع السوداني وسببت هاجساً للمرأة باعتبارها القائم على أمر الأسرة في غياب الأب.

8/ بعض الممارسات موجودة في المجتمع السوداني بصورة كبيرة وخاصة في المناطق الريفية؛ بحيث يتم تزويج الفتاة دون اخذ رأيها فيمن ستتزوج. لا يحق للفتاة معارضة رأي الأهل وهو ما يحدّ من حرية الفتاة في اختيار الشريك، وهو أمر لا تقبله الكثير من المجتمعات الأخرى.

9/ استخدام الدعاء كوسيلة لرد الظلم دون اللجوء إلى العنف.

10/ إن صغر السن لا يمنع الارتباط والزواج، ولكن ما ليس مقبولاً هو صفة الطيش، وصغر السن ليس بالضرورة مقروناً بالطيش. فالفتاة الصغيرة مطلوبة داخل هذه المجموعة، وأغلب البنات يتم تزويجهن صغيرات السن.

11/ لقاء ورؤية المحبوبة: هو ليس أمراً سهلاً –بحسب النظام الاجتماعيةي أو الثقافي السائد داخل هذه المجموعة– ول ايتيحه نظام العلاقات والتفاعل الاجتماعي لدى التقري.

12/ صعوبة لقاء ورؤية المحبوبة يمكن تلمُّسه في معظم الأدب التقري في الغزل وهو ما يمكن إدراجه تحت ما يُسمى (أدب البين والفراق)، ونجده يحتشد بتصوير الظروف المحيطة؛ التي تحول دون هذا التلاقى والمتمثّلة دائما في الأهل ومن ورائهم المجتمع كما يشيع ذلك عند (إبراهيم نوراي) مثلا.

التوصيات

1/ وجوب أن يتقبّل الفرد ويتلاءم مع كل ممارسات مجتمعه، وإن تعارضت مع رغباته وأحلامه. وهي رؤية لمجتمع التقري وتعكس نظام المجتمع، والذي يقوم على الاحترام المطلق لكل ممارسات وقيم المجتمع.

2/ وجوب القيام بدراسات أخرى؛ تتناول كل الأدب الشفاهي للتقري؛ من خلال دراسة القصص الشعبية، الأمثال وغيرها؛ مما يتيح الفرصة لاستقراء المخزون الثقافي لهذه الأمة.

شكر وعرفان

ندين بالشكر للطالب مُحَمَّد أحمد، جامعة الخرطوم، كلية الآداب–قسم اللغويات، والذي كان مُعيناً لنا في ترجمة هذه القصائد وكان لنقاشاتنا معه الأثر الكبير في فهم هذه النماذج.

المراجع

جواد علي المصلفي (1983م) تاريخ العرب قبل الإسلام،ج1،ص86

عبد الله حسين (2012م) السودان من التاريخ القديم إلى رحلة البعثة المصرية، 2012، القاهرة،ج1

عبد الفتاح مقلد الغنيمي (1986) الإسلام والعروبة في السودان، مصر.

عون الشريف قاسم (1990م) منصور التمازج القومي في السودان، ط2، السودان،ج1

هاولد أ. مكمايل، تعريب سيد علي مُحَمَّد ديدان (2013م) تاريخ العرب في السودان، ط2، السودان، ج1